صورة المعلم في كتب التراجم، كتاب تهذيب الكمال نموذجا

The Teacher Image in the Islamic biographies: Tahtheeb AlKamal Book as A Model

د. خولة علي حسن صالح، الكلية الجامعية بالقنفذة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

khawla.ali77@gmail.com

د. مريم أحمد زنان الزهراني، الكلية الجامعية بالقنفذة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

d-mazzahrani2013@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 11/ 10/ 2019 تاريخ القبول: 23/ 10/ 2019 تاريخ: النشر: 20/ 01/ 2020

المؤلف المرسل: د. خوله صالح khawla.ali77@gmail.com

الملخص:

هدف البحث إلى بيان صورة المعلم في كتب التراجم؛ وفي كتاب تهذيب الكمال تحديداً، وتوصلت الباحثتان إلى بيان منزلة العلم والعلماء عند المربين الأوائل، وتبيّن من خلال البحث أن للمعلم صفات علمية وخلقية يجب أن يتحلى بها للنهوض بالعملية التعليمية التعلمية.

وقد استند هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث قامت الباحثتان باستقراء الشواهد التي تبيّن صورة المعلم في كتاب تهذيب الكمال، مع تحليل تلك الشواهد واستخلاص النتائج المترتبة منها، والوصول إلى تصور إسلامي للصورة المشرقة التي كان عليها المعلم سابقا من التحلي بالصفات والمبادئ والأساليب التربويةَ؛ التي أسهمت في إخراج ذلك الجيل الفريد.

وقد أظهرت النتائج وجود صورة رائعة للمعلم في كتب التراجم الإسلامية، بصفاته، ومبادئه، وأساليبه، وحقوقه، وواجباته، بالرغم من قلة الإمكانيات المتاحة آنذاك.

وانتهى البحث إلى توجيه الباحثين إلى تناول كتب التراجم الإسلامية لدراستها دراسة تربوية تجديدية وتحليلها للكشف عن الكنوز الكامنة فيها، لبناء شخصية المعلم الإسلامية السويّة.

الكلمات المفتاحية: صورة المعلم؛ التراجم؛ تهذيب الكمال.

***Abstract*:**

The research aimes at explaining how a teacher is portrayed in Islamic biographies, mainly, in Tahtheeb Al Kamal book. The researcers find out that the science and scientests were given a noble status by the early educators. The research also shows that the teacher should have certain ethecal and scientific characteristics in order to develop the learning and teaching process.

The inductive and analatical method has been adopted by the researchers to look for the pieces of evidence which can enable them to point out the teacher image in Tahtheeb Al Kamal. Analyzing these pieces of evidence makes clear the teacher brilliant image of having the Islamic educational principles and proceedures which participated in developing that unique generation.

Moreover, the findings indicate the wonderful image for the teacher in the Islamic biographies, mainly his virtues, principles, proceedures and his persistence to perform his duties inspite of the shortage in the available tools.

The study, in fact, concludes that the researchers should be directed to address these Islamic boigraphies through educational and enovative methods to discover

the hidden educational treasures so that a straightforward Islamic character of the teacher could be built.

Keywords*: *Image, teacher, biographies, Tahtheeb Al Kamal.

مقدمة:

تنشد المجتمعات البشرية بشكل مستمرّ مستقبلاً زاهرًاً لأجيالها، من خلال مسيرة التنمية الشاملة لجوانب الحياة جميعها، خاصة التنمية البشرية منها، لذا نجدها تلجأ إلى مراجعة المنظومة التربوية التي تكفل لها ديمومة وجودها واستمرار حضارتها.

وأعطى الإسلام العلم والتعليم أهمية كبرى- إذ المعلم من أهم مرتكزات عملية التربية والتعليم- فرفع من منزلة العلماء وجعل إعمال العقل والتفكير أساسًا لتقديم أحسن مستوى وأفضل أداء في الدنيا والآخرة، فالعقل شرط في معرفة العلوم وبه يكمل العلم والعمل.

ومن هنا أصبح لزامًاً على كل فرد، الحرص على التعلم والتعليم، وبذل أقصى الطاقات والجهود لتكوين صورة مشرقة لمعلم القرن الحادي والعشرين، ومن هذه الجهود التي تستحق أن تُبذل، العودة إلى تراثنا الإسلامي لرسم الأنموذج الواقعي للمعلم القدوة .

وتحسب الباحثتان أن ذلك موجود في مجموع كتب التراجم والسير وكتب الرجال بشكل واضح ومُيّسر، لاعتمادها على رواية الأحداث والوقائع لكل عالم ومربي. ولهذا كان البحث في كتاب تهذيب الكمال، من أجل التأكيد على وجود صورة رائعة للمعلمبصفاته، ومبادئه، أساليبه، حقوقه، وواجباتهفي ذلك العصر بالرغم من قلة الإمكانيات المتاحة.

وعليه فإن موضوع صورة المعلم في كتاب تهذيب الكمال ، والتعرف على شخصيته وسماته، والوصول إلى أهميته في التربية، وفي بناء شخصية المعلم الإسلامية السويّة، قد يؤدي إلى رفع مستوى المعلمين والمربين في المؤسسات التربوية الحديثة، وبالتالي سيساعد في تمكين الأمة الإسلامية

من القدرة على مواجهة المشكلات التربوية والاجتماعية بحكمة، دون المعاناة من النواتج السلبية وآثارها على تربية الجيل.

مشكلة الدراسة:

تبرز مشكلة البحث في ملاحظة وجود اختلال واضح ببُنية بعض المعلمين وشخصياتهم، وعدم معرفتهم لحقوقهم وواجباتهم، بالإضافة إلى إهمالهم للمبادئ التربوية والأساليب التعليمية التي تساعدهم في رفع إمكاناتهم وقدراتهم، بالرغم من تطور الوسائل والإمكانات، والانفجار المعرفي الذي نعيشه اليوم،مما يؤثر على تربية الجيل، وبالتالي قد يهدد ذلك كيان المجتمعات، وعليه، يسعى البحث إلى سد بعض الثغرات في هذا المجال، من خلال بيان صورة المعلم في كتب التراجم الإسلامية وكتاب تهذيب الكمال تحديداً، لبيان صورة المعلم المشرقة في ذاك الزمان؛ الذي افتقرإلى التطور التكنولجي والمعرفي الذي نعيشه اليوم، مخرجاً تلك الثلة من العلماء كما بدا ذلك واضحًا في بعض الشواهد التي رواها المزي، وذلك من خلال التعرف على منزلة العلم والعلماء فيه، وتوضيح سمات المعلم العلمية والخُلقية، وفهم بعض مبادئه وأساليبه التربوية، وما يترتب على المعلم من حقوق وواجبات.

هدف البحث وأسئلته:

للبحث هدف عام يتحدد في تحليل بعض الشواهد التي رواها المزي في كتابه تهذيب الكمال وَفق منهجية سليمة، لتوضيح الصورة التي كان عليها المعلم القدوة والتي يجب أن يكون عليها المعلم اليوم، ولتحقيق الهدف سيحاول البحث الإجابة على الأسئلة التالية:

1- ما تعريف علم التراجم وكتاب تهذيب الكمال؟.

2- ما منزلة العلم ومكانة العلماء وصفاتهم في كتاب تهذيب الكمال ؟

3- ما مبادئ المعلم التربوية وأساليبه التدريسية وحقوقه وواجباته في كتاب تهذيب الكمال ؟

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في:

- أهمية موضوع البحث؛ فدراسة صورة المعلم في كتب التراجم، وتحديدًا في كتاب تهذيب الكمال، موضوع جديد، لم يتم التعرض له في بحث سابق، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كون هذا البحث يهدف إلى صياغة صورة المعلم صياغة مرتكزة على القيم والمبادئ والأساليب التربوية الإسلامية الحديثة، والتي تمنح المعلمين القدرة على الإنجاز والإبداع، وتمكنهم من الانطلاق في حدود أوقاتهم ووسائلهم وأدواتهم.

- يُسهم هذا البحث في بلورة تصور إسلامي للصفات والمبادئ التربوية والأساليب التعليمية المتضمنة في كتب التراجم، مما يُسهم في لفت نظر الباحثين للاقتراب من هذا الحقل برؤية موحدة لدراسة كتب التراث دراسة تربوية وإخراج الكنوز الكامنة فيها، وتطبيقها تطبيقًا واقعيًا يُسهم في تطوير العملية التربوية.

منهجية البحث: استند البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث قامت الباحثتان باستقراء الشواهد التي تبيّن صورة المعلم في كتب التراجم، وتحديدًا من كتاب تهذيب الكمال بجميع أجزائه، مع تحليل تلك الشواهد، والوصول إلى تصور إسلامي للصورة التي كان عليها المعلم سابقًا من تحلٍّ بالصفات والمبادئ والأساليب التربويةَ؛ التي أسهمت في إخراج ذلك الجيل الفريد، والوصول إلى حقوق المعلم وواجباته، وقد اعتمدت الباحثتان على كتاب تهذيب الكمال والدراسات التربوية المتعلقة بالمعلم.

محددات البحث: تناولت الباحثتان كتاب تهذيب الكمال بأجزائة الخمسة والثلاثين تحليلاً؛ للوصول الى صورة المعلم الكامنة بين نصوصة، بالإضافة الى تدعيم النتائج بإستشهادات من الأدب التربوي المتعلق في هذا المجال.

المبحث الأول: التعريف بعلم التراجم، وكتاب تهذيب الكمال ومؤلفه:

أولا: التعريف بعلم التراجم:

لا شك أن علم التراجم علمٌ مرتبط ارتباطًا قويًا بعلم التاريخ، ولعل تسمية بعض المتقدمين لمصنفاتهم في علم الرجال بالتأريخ دليلٌ على ذلك؛ كما كان من الإمام البخاري في تواريخه، وقبله الليث بن سعد وعبد الله بن المبارك والوليد بن مسلم كما ذكر عنه ذلك الذهبي رحمه الله[1]، فكل هؤلاء صنفوا كتبًا باسم التاريخ؛ وموضوعها التراجم والسير.

فالتاريخ علم قديم يعتني بأحداث الزمان ويؤرخ لها وبها، وهو من العلوم التي لقيت عنايةً ظاهرةً في تأريخ الإسلام، وقد عرفه العلماء بتعريفات من أشملها تعريف الإمام السخاوي بأنه: " في الاصطلاح التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال، من مولد الرواة والأئمة، ووفاة وصحة، وعقل وبدن، ورحلة وحج، وحفظ وضبط، وتوثيق وتجريح، وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم[2]".

وهناك علوم أخرى تتناول التراجم منها: علم السير وعلم الطبقات، وقد لقيت عناية كبيرة في مؤلفات سلف هذه الأمة، فهناك العدد الكثير من كتب السير ومثلها كتب الطبقات، وعلم الطبقات كما قال القنوجي: علم الطبقات: أي طبقات كل صنف من أهل العلم كالأدباء والأصوليين والأطباء والأولياء والبيانيين والنابغين والحفاظ والحكماء والحنفية والحنابلة والمالكية والشافعية والمفسرين والمحدثين والخطاطين والرواة والخواص والشعراء والصحابة والمجتهدين والصوفية والطالبين والأمم والعلوم والفرسان والعلماء والفرضيين والفقهاء ورؤساء الزمن والقراء والنحاة واللغويين والمتكلمين والمعبرين والمعتزلين والممالك والنسابين والنساك إلى غير ذلك[3]".

أما علم التراجم فلعل أقرب تعريف له بشكله العام أن يعرف بأنه العلم الذي يعنى ببيان سير الأعلام عامة وذكر حياتهم الشخصية، ومواقفهم وأثرهم في الحياة وتأثيرهم.

ثانيا: التعريف بكتاب تهذيب الكمال للمزي:

هو كتاب في علم الرجال ألفه الحافظ جمال الدين أبو الحجاج المزي، وقد قام فيه بتهذيب وتنقيح وزيادة على كتاب الكمال في أسماء الرجال للحافظ عبد الغني المقدسي.

وفي حين أن كتاب الكمال اقتصر على ذكر رجال الكتب الستة، فإن الحافظ المزي قام فاستدرك ما فات المؤلف من رواة هذه الكتب، ثم أضاف إلى كتابه الرواة الواردين في بعض ما اختاره من مؤلفات أصحاب الكتب الستة، وبذلك زاد في تراجم الأصل أكثر من ألف وسبع مئة ترجمة.

كما أضاف المزي إلى معظم تراجم الأصل مادة تاريخية جديدة في شيوخ صاحب الترجمة، والرواة عنه، وما قيل فيه من جرح أو تعديل أو توثيق، وتاريخ مولده أو وفاته، ونحو ذلك، فتوسعت معظم التراجم توسعًا كبيرًا.

ومما يميز كتاب تهذيب الكمال أن المزي رجع إلى كثير من الموارد الأصلية التي لم يرجع إليها صاحب "الكمال"، وكان لا بد للمزي أن يفعل ذلك بعد توسيعه لمادة الكتاب كل هذا التوسيع، فلم يكن ذلك ممكنًا إلا بزيادة الموارد المعتمدة، هذا فضلًا عن زيادة التدقيق والتحقيق وبيان الأوهام ومواطن الخلل في كل المادة التاريخية التي ذكرها عبد الغني في "الكمال"، فوضح سقيمها، ووثق ما اطمأن إليه، فأورده في التهذيب[4].

وللكتاب في نفوس الناس مكانة عظيمة فقد ذاع في عصره واشتهر، وأشاد به كثير من البشر، قال الصفدي: "وصنف كتاب تهذيب الكمال في أربعة عشر مجلدًا، كسف به الكتب المتقدمة في هذا الشأن، وسارت به الركبان واشتهر في حياته[5]".

وقال السبكي: "وصنف تهذيب الكمال المجمع على أنه لم يصنف مثله[6]".

وقال ابن تغري بردي: "وهو غاية في الحسن في معناه[7]".

وقال ابن حجر في فضل الكتاب ومنزلته "من أجلّ المصنفات في معرفة حملة الآثار وضعًا، وأعظم المؤلفات في بصائر ذوي الألباب وقعًا، وقد وُفّق المزّي بين اسم الكتاب ومسماه، وألّف بين لفظه ومعناه، بَيدَ أنه أطال وأطاب، ووجد مكان القول ذا سعة فقال وأصاب"[8].

ثالثا: التعريف بالإمام الحافظ المزي

هو الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف القضاعي، الدمشقي، الشافعي، ولد بظاهر حلب سنة أربع وخمسين وست مائة ونشأ بالمزة، وحفظ القرآن وتفقه قليلًا ثم أقبل على هذا الشأن – أي الحديث- .. عمل كتاب تهذيب الكمال في مائتي جزء وخمسين جزءًا، وعمل كتاب الأطراف في بضعة وثمانين جزءًا، وخرّج لنفسه وأملى مجالس وأوضح مشكلات ومعضلات ما سبق إليها في علم الحديث ورجاله، وكان ثقةً حُجةً كثير العلم حسن الأخلاق .. وكان متواضعًا حليمًا صبورًا مقتصدًا في ملبسه ومأكله .. ترافق هو ابن تيمية كثيرًا في سماع الحديث وفي النظر في العلم وكان يقرر طريقة السلف في السنة .. توفي في ثاني عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة رحمه الله تعالى[9].

وما ذكرته الباحثتان؛ هو نبذه مختصرة عن هذا الكتاب، للتعريف به وبمؤلفه وإلا فالمقصود من البحث إظهار صورة المعلم في فكر المزي من خلال كتابه، وهذا الفصل هو تهيئة للموضوع فحسب.

المبحث الثاني: منزلة العلم ومكانة العلماءوصفاتهم في كتاب تهذيب الكمال.

تظهر منزلة العلم والعلماء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من خلال الكم الهائل من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة،التي تبيّن فضلها في الدنيا والآخرة، فكان أول ما أنزل على رسول الله ﷺمن الوحي دعوة للعلم والتعليم، قال تعالى: : ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 3-5].

وقد اهتمت التربية الإسلامية بالعلم والعلماء، وبذل العلماء في طلب علومهم الغالي والنفيس وتكبدوا المشاق حتى بلغوا أعلى المراتب وأفضلها، وكان للمزي في كتابه تهذيب الكمال وِقفة مع منزلة العلم والعلماء، ستقوم الباحثتان ببيانها على النحو التالي:

المطلب الأول: فضل العلم في كتاب تهذيب الكمال.

يعد العلم من أجلِّ الفضائل وأشرفها، فهو أساس الحضارة ومصدر أمجاد الأمم، وعنوان سموها وتفوقها في الحياة، ورائدها إلى السعادة الأبدية وشرف الدارين.

وبه افتتح الله تعالى كتابه الكريم وجعله أول ما نزل على نبيه الأمينﷺ، وذلك في سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1].

وبيّن المزي من خلال مجموعة الروايات والحوادث المنقولة عن العلماء والمعلمين مكانة العلم وفوائده، وتتجلى هذه النظرة بما يلي:

أ. ربط العلم بالدين: تقوم العقيدة الإسلامية على العلم، فالحقيقة الدينية لا تُناقض الحقيقة العقلية، إذ أن اليقين لا يُعارض باليقين، فكلاهما يوصل إلى الآخر، فالعلم طريق الإيمان، والإيمان يحضّ على العلم، والعلم زينة الإيمان وحلته، وقد أورد المزي شاهداً على ذلك إذ قال: "عن عبد الله بن لهيعة عن ابن عجلان عن رجاء بن حيوه:" يُقال ما أحسن الإسلام ويزينه الإيمان، وما أحسن الإيمان ويزينه التقوى، وما أحسن التقوى ويزينه العلم، وما أحسن العلم ويزينه الحِلْم، وما أحسن الحِلْم ويزينه الرفق"(10).

ب. وصف العلم بأحسن الأوصاف: حتى جعله العلماء أفضل الكنوز، فقد قيل: "ميراث العلم خير من ميراث الذهب، والنفس الصالحة خير من اللؤلؤ(11)".

المطلب الثاني: منزلة المعلم ومكانته في كتاب تهذيب الكمال.

يُعرّف المعلم: بأنه كل إنسان يتولى عملية تعليم أناس آخرين وإرشادهم وتوجيههم، وذلك بإكسابهم المعارف والحقائق والقواعد والمهارات والقيم والاتجاهات من خلال أنواع النشاط والاستعانة بالوسائل المناسبة(12).

ومن عظيم مكانة العلماء:

1. أن الله تعالى قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18].

2. وهم من انطبقت عليهم الخيرية التي حددها النبي ﷺفي قوله: فيما رواه عنه معاوية ﷺقال: سمعت النبي ﷺيقول: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»(13).

3. والعلماء هم صمام أمان للأمة، فإذا غاب العلماء عن الأمة ضلت في دينها، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺقال: سمعت رسول الله ﷺيقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»(14).

4. والعلماء هم ورثة الأنبياء فيما جاءوا به، فهم قد ورثوا منهم العلم لما ورد عن أبي الدرداء ﷺقال: سمعت رسول الله ﷺيقول: «وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(15)، فالعالم يأخذ مكانة الرسول، ولا يفرق بين النبي وبين العالم إلا درجة النبوة فعن أَبِي أُمامة الباهلي ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»(16).

وقد اهتم علماء التربية الإسلامية بالمعلمين، فألفوا جملة من الكتب التي يحسن بكل معلم أن يستعين بها في عمله، ومن خلال استقراء كتاب تهذيب الكمال نجد أنه بيّن منزلة العلماء وأوضحها من خلال عدة أمور، منها:

- **حظيت منزلة المعلم بمكانة لا مثيل لها، حيث بلغت مرتبة الربانيين** وقد أكد المزي على ذلك بروايته حيث قال:"قال أبو بكر الطباع سمعت أبا عبد الله البيهوي وكان يتعبد، يقول: قلت لبِشر ألا صنعت كما صنع أحمد بن حنبل، فقال: تريد مني مرتبة النبيين لا تقوى بدني على هذا"[17]. فيتضح لنا سمو منزلة أحمد بن حنبل في نفوس الناس، ومكانته الرفيعة حتى شُبّه بالنبيين بسبب ما حمله من علم فانعكس ذلك على جميع أعماله.

- **وكانت منزلة المعلم بمنزلة الملوك**، بل قد ترتفع عنها، إذ تبوأ المعلم أشرف المنازل ويؤكد على ذلك رواية المزي: "قدم هارون الرشيد أمير المؤمنين الرقة فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغيرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج من قصر من خشب، فلما رأت الناس قالت: ما هذا ؟قالوا: عالم من أهل خرسان قدم الرقة يقال له عبدالله بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرَط وأعوان"[18].

ويعود ذلك لأن العالم يجتمع إليه الناس حبًّا وطواعيةً لا إلزامًا كما يجتمعون للملوك، فالدافع الأساسي للإقبال عليه المكانة التي احتلها في قلوب الناس.

المطلب الثالث: صفات المعلم العلمية والخلقية في كتاب تهذيب الكمال.

اعلم أنه ما من عملٍ أو مهمةٍ صغرت أو كبرت إلاَّ ولِمن يقوم بها صفات لا بدَّ أن يتحلَّى بها، وصفات لا بدَّ أن يتخلَّى عنها، فكيف بمن يتولَّى أمانة إعداد الجيل وتربية النشء؟

والحديث عن صفات المُعلِّم يطول، فاقتصرنا هنا على ما رأينا الضرورة في ذكره، إمَّا لكثرة الإخلال به، أو لأنَّ البعض قد يجهله ويغفل عنه،ومن خلال استقراء كتاب تهذيب الكمال، أورد

المزي مجموعة من الصفات الذاتية التي قد يتصف بها المعلم في هيئته أو شكله الخارجي، فبعضها يكون للمعلم الفضل في إيجادها وبعضها الآخر لا دخل له بها.

فهدف هذا المطلب إلى التعريف بأهم سماته وصفاته، وبيان الجوانب العلمية والخلقية بالإضافة إلى مظهره الخارجي، والتي ينبغي لكل معلم أن يتحلى بها.

ومن الحوادث التي أوردها المزي والتي تُظهر صفات المعلم الشخصية وحال مظهره الخارجي:"قال محمد بن سعد قالوا: وكان الحسن جامعًا عالمًا رفيعًا فقيهاً، ثقةً مأمونًا عابدًا ناسكًا كثير العلم فصيحًا جميلاً وسيمًا، وكان ما أسند من حديثه وروى عمن سمع منه فحسنٌ حجة، وما أرسل من الحديث فليس بحجة، وقدم مكة فأجلس على سرير واجتمع الناس إليه فحدثهم"[19].

اتصف الحسن بالجمال والوسامة وهي خصائص وهبات من الله تعالى ولكن إضافتها إلى مجموعة الصفات العلمية والخُلقية لها وقع خاص.

إن الحالة التي يظهر عليها المعلم أمام طلابه واهتمامه بحُسن سمته وجمال مظهره، من نظافة وتأنق وطيب رائحة، بعيدًا عن الإسراف وملتزمًا حد الاعتدال، وقد كان السلف يعنون بذلك، ويوصون المحدِّث بِحُسن مظهره .. نقرأ في فهرس «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي ما يلي: "إصلاح المحدِّث هيئته وأخذه لرواية الحديث زينته، وليبتدئ بالسواك، وليقصّ أظافيره إذا طالت، ويأخذ من شاربه، ويسكن شعث رأسه، وإذا اتسخ ثوبه غسله، وإذا أكل طعامًا زهمًا أنقى يديه من غمره .. ولباس المحدِّث المستحب له، فيُكره له أن يلبس الثوب الخلق وهو يقدر على الجديد.. وقال: "ينبغي للمحدِّث أن يكون في حال روايته على أكمل هيئة وأفضل زينة، ويتعاهد نفسه قبل ذلك بإصلاحه أموره التي تُجمله عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين[20]".

وما يهمنا في هذا البحث هو تعرّضنا لقضية الأسباب التي دعت العلماء لمثل هذا الوصف الدقيق للمعلم، هل هذه الصفات الشخصية ذات دلالة، وذات أهمية أم لا؟

بحسب رأي الباحثتين فإن الإجابة على هذا السؤال تكون بالتركيز على أمرين:

1 – العلم في نظر الإسلام ليس مجرد حشو العقول بالمعلومات، بل هناك عناية كبيرة بناقل هذا العلم، والبيئة التعليمية كاملة، حتى تنال القدر اللازم من التقدير، فهذه الصفات (الجمال وحسن الهيئة والنظافة) تُعدّ وسيلة هامة للإقبال على العلم، وليس المقصود من ذلك أن الجمال معيار هام لاختيار المعلم، بل المهم هو حُسن الهيئة، والتي تعني المنظر المقبول غير المنفّر، مما يجعل له أثرًا على الناتج التعليمي عند المتعلمين.

2 – قد يكون سبب الوصف الموجود في الروايات شدة عناية العلماء بالمعلم واهتمامهم به، حتى في أدق التفاصيل، كوصف هيئته وشكله الخارجي.

وهذا ما يُفسر في وقتنا الحاضر العناية الفائقة بحسن الهيئة والمظهر الخارجي عند إجراءات التعيين في وزارة التربية والتعليم ،وإلزام المتقدمين الجدد بإجراء فحوصات طبية للتأكد من مناسبتهم لمهنة التعليم.

و الصفات العلمية للمعلم؛ أسلحة قوية، فيحسن فيمن يتولى هذه المهنة أن لا يجلس لتعليم الناس إلا أن تأهل لها علميًا؛ و أدوات إن امتلكها أتقن عمله وأدى حقه تجاه نفسه وتجاه الطلاب، وتذكر الباحثتان بعضاً من هذه الصفات:

❖ **سعة المعرفة**: يُعدّ الاهتمام بالتخصص والعناية به والسعي لبلوغ الذروة فيه مما ينبغي أن يكون من شأن المعلم، لأنه سيكون مرجعًا لطلابه يسألونه ويستفتونه به، والعناية بالتخصص لا تعني إهمال التخصصات الأخرى، لاسيما ذوات العلاقة، بل لا بد من الحصول على قدر ما يخدم التخصص، حيث يقدم لطلابه به نسيجًا متناسقًا يشدُّ بعضه بعضًا، بعيدًا عن التنافر والتناقض،

وقد كانت عقلية المعلم في تهذيب الكمال عقلية علمية مبنية على سعة المعرفة، ومن الشواهد على ذلك:

"قال عبد الله بن أحمد بن حنبل قال أبي أصح الناس حديثًا كان يشرب العلم شربًا"[21]. فهذا الوصف دلالة على سعة علمه، فكأنه يشرب شرباً من سهولته عليه.

- **ومن مظاهر سعة المعرفة التتابع أو الوصل في الدروس أو في الأسئلة:** فكان المعلم ما أن يلبث من أن يحدث بحديث إلا ووصله بحديث آخر، وقد روى المزي "عن الأعمش قال: دعوني إلى إياس فكان كلما حدّث بحديث وصله بآخر"[22]قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43].

"جاء رجل إلى أبي بن المهدي فقال: يا أبا سعيد إنك تقول هذا ضعيف وهذا قوي وهذا يصح، فعمّ تقول ذلك؟ فقال عبد الرحمن: لو آتيت الناقد فأريته دراهم فقال هذا جيد، وهذا ستوق، وهذا بنهرج، أكنت تسأله عم ذاك أم كنت تسلم الأمر إليه؟، قال: بل كت أسلم الأمر إليه، فقال عبد الرحمن: هذا كذلك. هذا بطول المجالسة والمناظرة والمذاكرة العلم به، قال فذكرته لبعض أصحابنا فقال أجاب جواب رجل عالم"[23].

فمثل المقارنة بين العلماء والمعلمين وإبراز التفاضل والتمايز بينهم كمثل الصائغ أو الناقد، يعرف فنون مهنته، فيفاضل بين الأهم فالمهم، وكذلك العالم الذي يميّز أصناف العلوم وأنواع التخصصات التي قد يتميز بها المعلم، لهذا نجد علماء الحديث وعلماء الفقه يهتمون بعلم اللغة، كالنحو و الشعر وغيرها حتى تكون داعمةلمواد التخصص ومساندة.

❖ **الأمانة العلمية:** من أخلاقيات العلم الأمانة، فهي من لوازم الإيمان فلا إيمان لمن لا أمانة له، والخيانة من لوازم النفاق، وأشد أنواع الخيانة خطرًا هي خيانة المعلم في علمه فهي أشد من

خيانة المال؛ ذلك أن خيانة العلم تدمر مجتمعًا بأسره أما خيانة المال فهي محدودة الضرر[24]، وللأمانة العلمية مظاهر عديدة، منها:

- **عدم كتمان العلم**، فقد أورد المزي حديث أبو هريرة، وقد رفعه مرة قال: "من سُئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار"[25]. فالأمانة تقتضي نشر العلم وعدم كتمانه، لتعم الفائدة على الجميع.

- **ومن كمال الأمانة العلمية عند المعلم في تهذيب الكمال، الانشغال الذهني ليلاً ونهاراً بالعلم وتدوينه حتى لا يضيع منه شيئًا**، ومن الحوادث الدالة على ذلك ما رواه المزي حيث قال:

"قال محمد بن عوف الحمصي: إن أبي اليمان إسماعيل بن عياش إلى جانب منزلي، وكان يجيء الليل وربما قرأ ثم قطع، ثم رجع فقرأ من الموضع الذي قطع منه، فلقيته يومًا فقلت يا عم قد رأيت منك شيئًا وقد أحببت أن أسألك عليه، إنك تصلي من الليل ثم تقطع، ثم ترجع إلى الموضع الذي قطعت فتبدأ منه. فقال: يا بني وما سؤالك عن ذلك؟ قلت: إني أريد أن أعلم. قال: يا بني إني أصلي فأقرأ فأذكر الحديث في الباب من الأبواب التي أخرجتها فأقطع الصلاة فأكتبه فيه ثم ارجع إلى صلاتي فأبتدئ من الموضع الذي قطعته"[26].

- **التثبت والتروي في إعطاء الإجابة**،"عن أحمد قال حدثنا الحسن بن عمرو قال: سمعت البشر يقول ربما وقع في يدي الشيء أريد أن أخرجه، فلا يصح لي يعني –من الحديث– وقال: ليس ينبغي لأحد أن يحدث حتى يصح له، فمن زعم أنه قد صحح قلنا أنت ضعيف وقال لا أعلم شيئًا أفضل منه إذا أريد به الله –يعني طلب العلم–"[27].

ما أكثر ما يأتي المعلم السؤال والاستفتاء من طلبته، فعليه أن يروَّض نفسه على أن يقول لما لا يعلم «لا أعلم» ويضع نصب عينيه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[الأعراف: 33]، وأجرأ الناس على الفتيا أقلُّهم علمًا كما قال سحنون .. عقد الإمام ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله بابًا بعنوان: «ما يلزم العالم إذا سئل عما لا يدريه ومن وجوه العلم»، وروى بسنده عن عبد الرحمن بن مهدي قال: "كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله، جئتكم من مسيرة ستة أشهر، حمَّلني أهل بلدي مسألة أسألك عنها. قال: فسل.

قال: فسأله الرجل عن المسألة، فقال: لا أُحسنها. قال: فبُهِت الرجل كأنه قد جاء إلى من يعلم كلَّ شيء. قال: أيُّ شيء أقول لأهل بلدتي إذا رجعت لهم؟ قال: تقول لهم: قال مالك: لا أُحسِن(28).

وقال في موضع آخر: لو كتبنا عن مالك «لا أدري» لملأنا الألواح(29).

ولذا يُوصِي ابن جماعة المعلم بذلك فيقول: واعلم أن قول المسئول «لا أدري» لا يضع من قدره كما يظنه بعض الجهلة، بل يرفعه؛ لأنه دليلٌ عظيم على عِظم محلّه وقوة دينه وتقوى ربه وطهارة قلبه وكمال معرفته وحُسن تثبُّته، وقد روينا معنى ذلك عن جماعة من السلف..وإنما يأنف من قول «لا أدري» من ضعفت ديانته وقلَّت معرفته؛ لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين، وهذه جهالة ورقة دين، ...[30].

ومن خلال ما سبق نرى أن الأمانة العلمية تحوي مجموعة من الصور والمظاهر الدالة عليها وهي سمة هامة، والحوادث أكثر من ذلك لكن نكتفي بما ذكرناه سابقاً.

❖ **الذكاء وسرعة الحفظ:** يتميّز المعلم بصفات عقلية هامة، تساعده على أداء وظيفته بصورتها اللائقة، من ذلك قوة الذاكرة وسرعة الحفظ، وهي عناصر هامة في عقلية المعلم العلمية وردت في كتب التراث الإسلامي، وفي تهذيب الكمال خاصةً. **وفيما يلي بعض الروايات الدالة على ذلك:**

: " عن عبد الله بن شبرمة عن الشعبي قال: ما كتبت سوداء في بيضاء قط، ولا حدثني رجل بحديث فأحببت أن يعيده علي، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته، وقيل فيه كان كبير العلم

عظيم الحلم قديم السلم من الإسلام"[31]، فقدرة الشعبي الهائلة على حفظ العلوم واستيعابها زاد من تنمية علومه وجعله من أفاضل العلماء.

ويؤكد على ذلك وصف إسحاق بن راهويه: "عن أبو يحيى الشعراني أن إسحق بن راهويه توفي سنةثمان وثلاثين ومئتين، وأنه كان يخضب بالحناء، وقال لي: ما رأيت بِيد إسحاق كتاباً قط، وما كان يحدث إلا حفظًا، وقال كنت إذا ذكرت إسحاق العلم وجدته فيه فرداً فإذا جئت إلى أمر الدنيا رأيته لا رأي له"[32].

فمثل هذه الروايات تقال في سياق المدح للمعلم، فهي مقياس لتميّز المعلم لذلك كان التحديث من كتاب سمة قبيحة للمعلم، وهذا ما أكد عليه المزي في روايته حيث قال: "قال قطن بن إبراهيم سمعت حفص بن عبد الله يقول: ما أقبح بالشيخ المحدث يجلس للقوم فيحدث من كتاب"[33].

فهي صفة غير مستحبة للمعلم، فما تميّز المعلم إلا بحفظه وقوة ذاكرته لكل ما تعلمه، وما تفاضل العلماء إلا بمثل ذلك، وهذا ما يجعل لهم منزلة عالية ومختلفة عن الناس فالنسيان عدو للعلم. "قال الحسن: غائلة العلم النسيان وحياته المذاكرة، وقال صخرة بن ربيعة عن عبد الله بن شوذب عن الحسن: لولا النسيان كان العلماء كثيراً"[34].

❖ **حسن الخلق:** تُعدّ الأخلاق ثمرة الإيمان بالله والالتزام بدينه الحنيف، وهي ثابتة لا تتحول ولا تتبدل؛ لأنها جزء من العقيدة، لذلك كانت التربية الخلقية ركن عظيم لا قيام للدين بدونه.

وحظي كتاب تهذيب الكمال على بيان كثير منالأخلاق الحميدة التي حرص المعلمين على التزامها ومن ذلك:

- حرص المعلمين على غرس الخلق والأدب في التلاميذ أكثر من حرصهم على المعلومات والمعارف، "فعن شريك أنه قال: قليل من الأدب خير من كثير من العلم"[35]. والأفضل منهما من جمع بين العلم والأدب.

- تركيز المعلمين على تقديم أفضل الوصايا لتلاميذهم ومن ذلك:"جاء رجل إلى سلمان فقال: يا أبا عبد الله أوصني، قال: لا تتكلم، قال: فإن تكلمت فتكلم بالحق أو اسكت، قال: زدني، قال: لا تغضب، قال: أمرتني أن لا أغضب وإنه ليغشاني ما لا أملك، قال: فإن غضبت فاملك لسانك ويدك، قال: زدني، قال: لا تلابس الناس، قال: ما يستطيع من عاشر في الناس أن لا يلابسهم، قال: فإن لابستهم فاصدق الحديث وأدّ الأمانة"[36].

- وكذلك جمع بعض المعلمين الأخلاق ومحاسن السلوك في مقولة واحدة لحضّ الطلاب على تمثلها والتحلي بها في علاقاتهم ومعاملاتهم مع غيرهم. "عن وهب بن منبه قال: من أخلاق العاقل عشرة أخلاق، الحلم، والعلم، ولزوم الخير والرشد والعفاف والصيانة والحياء والرزانة ولزوم الخير والمداومة عليه ورفض الشر وبغضه له ولأهله وطواعية الناصح وقبوله منه"[37].

ومما أورده المزي في كتابه من أخلاقيات المعلم ما يلي:

الإخلاص : ونعني به إخلاص النية لله؛ فالنية الصحيحة أساس كلُّ عملٍ يُرجى ثوابه عند الله تعالى، وتتَّضح أهمية الإخلاص أكثر في حالة غيابه عن المجتمع لأنَّ الشيء كما قِيل يُعرف بضدِّه، فبغياب الإخلاص يحلُّ الرياء والتكاسل والإهمال، وبغياب الإخلاص يغيب الضمير، الذي إن غاب عن المربِّي أخرج ناشئة غير واعية وغير مثقفة، تُشكِّل عبئًا على الأمَّة الإسلامية.

ونرى ذلك واضحاً في رواية المزي عن أحمد بن أبي الحواري حيث قال: "قال أحمد بن أبي الحواري لما دلّني أبي على أبي سليمان قال: يا بني اجتهد فيما آمرك ولا تكتم عني شيئاً من أمرك، فصحبته ما صحبته حتى قال لي: يومًا قد طلبت العلم وعرفته فاطلب من نفسك الإخلاص،

وإياك أن تطلب الله فيمنعك قال فأخذت كتبي كلها وغرقتها في البحر، وأقبلت على العبادة، فما زال أبو سليمان يرقى بي درجة درجة، حتى قال لي: يا بني قد بلغت أوائل الزاهدين فاجتهد، قال أحمد بن أبي الحواري صحبت أبا سليمان طول ما صحبته فما انتفعت بكلمة أقوى عليّ وأهدى لرشدي وأدل على الطريق من هذه الكلمة.، قلت له في ابتداء أمري أوصني فقال: أمستوصي أنت؟ قلت: نعم، إن شاء الله. قال: خالف نفسك في كل مرادها، فإنها الأمارة بالسوء، وإياك أن تحقّر أحدًا من المسلمين، واجعل طاعة الله دثارًا والخوف منه شعارًا والإخلاص زادًا، والصدق جنة، واقبل مني هذه الكلمة الواحدة ولا تفارقها، ولا تغفل عنها، إنه من استحى من الله عز وجل في كل أوقاته وأحواله وأفعاله بلغه إلى مقام الأولياء من عباده، فجعلت هذه الكلمات أمامي. ففي كل وقت أذكرها وأطالب نفسي بها"[38].

لم تكن هذه الكلمات الرائعة بمعزل عن التطبيق، فبعد تحصيل العلم أوصاه المعلم بالإخلاص وأكد عليه، إضافة إلى الكثير من الأخلاق التي تعمل على ترقية السلوك الإنساني ورفعة الشخصية الإسلامية. فلم يكن لهذه الكلمات وقع كبير على التلميذ إلا لأنه رآها حية عند أستاذه فأثرت فيه وأنارت طريقه.

التواضع: لقد كانت سيرة الرسول ﷺ مثالاً حيًّا في التواضع وخفض الجناح ولين الجانب وسماحة النفس، وكيف لا يكون كذلك وقد جاءه الأمر الإلهي بذلك فقد قال ﷺ: «وإن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»(39).

وقد أوصى الإمام الآجري من يُعلِّم القرآن بالتواضع؛ حتى لا ينفر منه طلابه فقالرحمه الله: "وينبغي لِمن قرأ عليه القرآن فأخطأ عليه أو غلط ألاَّ يُعنِّفه، وأن يرفق به، ولا يجفو عليه، فإني لا آمن أن يجفو عليه فينفر عنه، وبالحريّ ألاَّ يعود إلى المسجد[40]".

وتتجلى صورة المعلم المتواضع عند المزي بالمظاهر التالية:

- **تفضيل المعلم غيره من العلماء على نفسه ومدحهم** والطلب من المتعلمين الذهاب إليهم لأنهم أعلم منه، وما هذا إلا بسبب تواضعه، ومن الشواهد على ذلك:

- "عن يحيى بن معين كان عطاء معلم كتاب قال أبو داود عن سفيان الثوري عن عمر بن سعيد بن أبي حسين عن أمه أنها أرسلت إلى ابن عباس تسأله عن شيء فقال يا أهل مكة تجتمعون علي وفيكم عطاء"[41].

- **انتفاء مظاهر الكبر والغرور** خاصة من هيئته، فالناظر إلى المعلم مع أنه موسوعة علمية متحركة لا يظن أنه بمثل هذا القدر، فلباسه متواضع ومشيته وطريقة كلامه كذلك، كل ذلك يوحي للناظر أنه إنسان عادي، ومن الشواهد على ذلك: "قال الدارقطني عن يوسف القطان وقال محمد بن سعد كان ثقة كثير العلم وقال محمد الموصلي حجة كتبه صحاحًا، إذا نظرت إليه في بزته ما كنت ترى أنه محدث ولكن إذا حدث كان يشبه العلماء"[42].

والشواهد على التواضع كثيرة، تكتفي الباحثتان بما ذكر تجنباً الإطالة في البحث.

المبحث الثالث: مبادئ المعلم وأساليبه التربوية، وحقوقه وواجباته في كتاب تهذيب الكمال:

ينبغي على المعلم السير وَفق أسس ومبادئ في قيامه بعملية التدريس، واستخدام طرائق وأساليب تعينه لتحقيق ما يرجو من أهداف، وهي مستقاة من تراثنا الإسلامي.

وقد حفل تهذيب الكمال بمجموعة من المبادئ التربوية التي اعتمدها المعلم،وفيه تظهركثير من الشواهد والآثار المروية، تذكر الباحثتان بعضًا منها:

المطلب الأول: مبادئ المعلم التربوية في كتاب تهذيب الكمال.

تعرّف الفروق الفردية بين المتعلمين بأنها: السمات والصفات التي تميّز أي فرد من أفراد المجموعة عن غيره[43]، فالناس يتفاوتون في القدرة على التعلّم والإنجاز، وفي القدرة على التعبير، كذلك في فهم النصوص والاستنباط منها.

أولا: مبدأ مراعاة الفروق الفردية

قد تبلغ الحماسة بالمعلم والحرص على تعليم طلابه إلى أن يسعى لتعليمهم ما قد يصعب عليه فهمه، أو يكون مدعاة للتخليط واللبس، لذا نهى السلف عن ذلك، قال علي ﷺ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبُّون أن يُكذَّب الله ورسوله؟»[44].

وقال ابن مسعود ﷺ: «ما أنت محدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[45].

ويرى الغزالي أن من وظيفة المعلم أن يقتصر بالمتعلِّم على قدر فهمه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله؛ فينفِّره أو يخبط عليه عقله[46]، وقد أكدّ المزيّ على أهمية هذا المبدأ في التعليم قولاً وعملاً من خلال التركيز على عدة جوانب منها:

لغة الخطاب: تُعدّ اللغة أداة التفاهم بين أطراف العملية التعليمية التعلميّة، فينبغي على المعلم مراعاة لغة الخطاب، بحيث تكون مفهومة ومقبولة لتؤثر على سرعة الفهم والإنجاز، كما تؤثر على إتقان العمل والإبداع إلى غيرها من الآثار.

ومما نقله المزي في ذلك قول إياس بن معاوية لأبي هند: "أنا أكلم الناس بنصف عقلي فإذا اختصم إليّ الاثنان جمعت عقلي كله"[47].

ودلالة الكلام تدل على تسهيل لغة الخطاب للعوام، فيكلمهم بلغة تناسب إفهامهم هذا في مجالس العلم، أما في مجالس الحكم والقضاء فالواجب يُحتّم عليه استجماع العقل بكامل طاقاته لإصدار حكم صحيح لتحقيق العدل بين الناس، فلكل مقام مقال.

الاستعدادات: الاستعداد هو قابلية الفرد أو قدرته الكامنة على التعلم بسرعة وسهولة، فاستعدادات المتعلمين متفاوتة، تبعاً للعوامل الفطرية، وللبيئات الاجتماعية والثقافية، وقد اهتم العلماء بهذا الجانب.

"حيث روى المزي عن شرحبيل بن سعد قال: دعا الحسن بن علي بنيه وبني أخيه، فقال: يا بني وبني أخي، إنكم صغارُ قوم توشكوا أن تكونوا كبار آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته"(48).

وقول الحسن يؤكد على عدة أمور هي:

1- تفاوت الناس في استعداداتهم العلمية، فمنهم من يستطيع الحفظ أي لديه حافظة قوية تمكنه من رواية الحديث، ومنهم من لا يمتلك الاستعدادات الكافية، فيترتب عليه عمل آخر ألا وهو الكتابة، بالإضافة إلى الاحتفاظ بكل ما يكتبه.

2- يظهر من كلامه صفة هامة وضرورية للمعلم، وهي تنبيه المتعلمين إلى ضرورة إتقان أعمالهم مهما كانت صغيرة وتشجيعهم على ذلك، فكل فرد يمتلك استعدادات ينبغي الوصول بها إلى درجة الإتقان، وهذا ما من الحوافز المعنوية، لأن إتقان الأدوار الصغيرة قد يساعد غيرهم بالوصول إلى الإبداع والابتكار.

كما يروي المزي عن أبي زُرعة أنه قال: حميد بن قيس من الثقات وهو أخو عمر بن قيس، ثم قال: انظر ما أبعد ما بين الأخوين، انظر على حميد من أي درجة من العلو، وانظر إلى عمر في أي درجة من الوهاء"(49).

وهذه الرواية تؤكد على وجود استعدادات متفاوتة حتى بين الأخوة، فعلى المعلم إدراك هذا التفاوت، ومراعاة الفروق الفردية،، حيث يأخذها بعين الاعتبار للوصول إلى رفع صاحب

الاستعدادات المرتفعة إلى العلو، وزيادة الاستعدادات المتوسطة والقليلة عند طلبته،دون تجريح أو احتقار لأحد.

- **القدرات:** القدرة هي كل ما يستطيع الفرد أداءه في اللحظة الحاضرة من أعمال عقلانية[50]، فينبغي على المعلم مراعاة قدرات كل فرد في عملية التعليم، مخافة أن يكون سببًا في صرفهم عن العلم.

"وقد جاء عن مالك بن يحيى بن سعيد عن كاتب الحجاج، يقال له يعلى، قال: مالك هو أخ لأبي سلمه، قال: كنت أكتب للحجاج، وأنا يومئذ غلام حديث السّن يستخفي ويستحسن كتابي، وأدخل عليه بغير إذن"[51].

فرغم صغره كانت قدراته مميّزة لذلك نال مرتبة عظيمة وهي دخوله على الحجاج بغير إذن، وهي دلالة علو المنزلة. كما أن هذا دليل هام على مراعاة الفروق الفردية عندهم.

ومعنى هذا أن أفضل المعلمين من يراعي الفروق الفردية بين الطلاب فالبشر يتفاوتون ويتفاضلون حسب أعمالهم وقدراتهم، فينبغي معرفة هذه الفروق أولاً، ومراعاتها وذلك بحسن التصرف مع كل فرد متعلم حسب قدراته واستعداداته الفطرية والمكتسبة، ولا يخفى على أحد الآثار والثمرات التي يجنيها المتعلمين من تطبيق مبدأ الفروق الفردية.

ومما ينبغي للمعلم مراعاة مبدأ الفروق الفردية بين طلابه، ومن أهم مظاهر هذه المراعاة:

- الترفع عن سرعة الانفعال وشدة الغضب، واستبعاد لغة التهديد، لأنها أسوأ الأساليب التي لا يجني منها المعلم إلا الكراهية من طلابه بل استخفافهم وسخريتهم: التهديد بما يعلم الطلاب أنه لن يفعله، وعناية المعلم بانضباط الفصل وهدوئه ينبغي ألاَّ تكون على حساب التربية وعلاقته مع الطلاب.

والأغلب أن تكون هذه المواقف ردّة فعل لسلوكيات ومخالفات لا ترقى لحجم هذه العقوبة والقسوة، ويمكن تجاوزها بإشارة أو تنبيه لطيف يزيلها ويحافظ للمعلم وقاره وقدره[52].

ثانيا: مبدأ التدرج: ويُقصد بهذا المبدأ: السير بالعملية التعليمية خطوة خطوة، بطريقة مدروسة ومناسبة لقدرات المتعلمين ولاستعداداتهم، كما يجب أن تراعي الوقت المناسب[53].

يُعد هذا المبدأ منهجًا ربانيًا، وخير مثال لذلك تدرج نزول القرآن الكريم، فالتربية الإسلامية تقوم على مبدأ التدرج في عملية التعليم والتعلم، ولذلك صور عديدة من أهمها: التدرج من الأهم إلى المهم، ومن البسيط إلى الأكثر تعقيدًا، ومن المعلوم إلى المجهول، ومن المحسوس إلى المجرد.

وقد روى المزي بعض الحوادث التي تُعد أمثلة هامة على بعض هذه الصور، من أهمها:

- **التدرج من الأهم إلى المهم:**

روى عن جريح أنه قال: "أتيت عطاء وأنا أريد هذا الشأن، فقال لي: قرأت القرآن؟ قلت: لا، قال: فاذهب فاقرأ القرآن، ثم اطلب العلم. فذهبت فغبرت زمانًا حتى قرأت القرآن، ثم جئت إلى عطاء وعنده عبد الله، فقال: تعلمت القرآن وقرأت القرآن؟ قلت: نعم، قال: تعلمت الفريضة؟ قلت: لا. قال: فتعلم الفريضة ثم اطلب القرآن "[54].

وترى الباحثتان أن هذه الحادثة دلالة على ما يلي:

1- تظهر منهجية السلف في التدرج، حيث كانوا لا يعلمون الحديث أو الفقه إلا بعد حفظ القرآن الكريم، فهو أولى وأهم، وإتمام حفظه يسهّل ما بعده ويوضحه، وبعد ذلك يأتي دور الأقل أهمية وهكذا.

3- تركيز المعلم يجب أن يبدأ على أساسيات العلم، و هذه المنهجية تسهل حفظ العلوم بوجود الركائز الأساسية عند المتعلم،وتُعين على غيرها من العلوم، كذلك تتدرج في بناء المعارف الجديدة فمن أخذه جملة ذهب منه جملة.

- **التدرج من البسيط إلى الأكثر تعقيدًا:** هذا ما يسمى في عصرنا الحاضر "ترتيب المحتوى الدراسي" فنقل المعرفة والخبرة إلى المتعلمين يحتاج إلى هذا المبدأ، لتتم عملية التعليم في أقصر وقت وبأقل تكلفة. ويظهر ذلك فيما رواه المزي في كتابه: "كان سليمان بن موسى يأخذ كل يوم في باب من العلم فلا يقطعه حتى يخلو منه، ثم يأخذ في باب غيره، فقيل له: يا أبا الربيع، جزاك الله خيرًا، فإنك تحدثنا بما نريد وما لا نعقله، وفي رواية: بما نعلم وما لا نعلم"(55).

ومعنى ذلك التزام سليمان بن موسى (المعلم) بترتيب معين لمحتوى دروسه، يبدأ بموضوع ويبقى فيه حتى يكمله، وفي هذه الدروس ما يعرفه التلاميذ وما لا يعرفونه، فإذا ما انتهى منه انتقل إلى موضوع آخر وهكذا.

والمعلم الحذق يأخذ بهذا المبدأ حتى يضمن إمتاع المتعلمين بدروسه، وحسن الاستماع، والبعد عن النفور، فعدم التدرج يبدد الذهن ويفرق الفهم.

ومن ذلك أيضاً "عن سعيد بن المسيب، عن جابر بن عبد الله قال: تعلموا الصمت ثم تعلموا الحكم ثم تعلموا العلم ثم تعلموا العمل بالعلم ثم انشروا"(56).

فهذه المراحل متعاقبة متتالية، تبدأ بالصمت وتنتهي بالعمل، ولو قمنا بتحليل عبارة جابر بن عبد الله لعرفنا أنها تدل على:

1. كل مرحلة تستلزم المرحلة التي تسبقها وتعتمد عليها اعتمادًا كاملًا، فحتى نصل إلى العمل بالعلم لا بدّ من العلم وحتى نصل للعلم لا بد من تعلم الحكم وحتى نصل للحكم لا بد من الاستماع والصمت للمعلم.

وهذا ما يسمى في التربية الحديثة "التعلم القبلي" فهناك مجموعة من المفاهيم والمعارف القبلية لا بد أن تكون عند الطالب حتى يستطيع استقبال المعرفة الجديدة.

2. عدم الفصل بين الجانب النظري والجانب العملي، كما هو واضح فهذه سمة من سمات التربية الإسلامية وهدف من أهدافها.

3. استمرارية التعليم ويكون ذلك بنشر العلم فهي المرحلة الأخيرة من التعلم والتي لا بد منها.

ومما سبق ترى الباحثتان أن المزي قد أظهر برواياته التزام المعلمين في عصره بهذا المبدأ التربوي الهام، الأمر الذي يدعونا إلى الرجوع للكتب التراثية، وتأصيل المبادئ التربوية منها.

ثالثا: مبدأ استمرارية التعليم: ولمبدأ استمرارية التعليم ضمانات تؤثر على استمرار التعليم وإلزاميته مدى الحياة، وقد أورد المزي بعض الأمور التي تضمن استمرارية التعليم من أهمها:

- **التعليم ضمان التعلم الجيد:** أفضل طريقة للتعلم هي التعليم، فكان العلماء –رحمهم الله– متعلمين معلمين، وهي ضمان أكيد لحفظ العلوم، "وقد روى المزي عن الأعمش أنه كان يجمع صبيان المكاتب ويحدثهم حتى لا ينسى حديثه"[57].

واقترن التعلم بالتعليم في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعلموا العلم وعلموه للناس، وتعلموا القرآن وعلموه للناس، وتعلموا الفرائض وعلموها للناس، فإني امرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض وتظهر الفتن"[58]. والحديث دال على أهمية هذا الضمان لاستمرارية التعليم.

- **السؤال دليل التعلم**: وهو ضامن لاستمرارية التعليم، فنرى العلماء يصلون إلى أعلى المراتب ويُحصّلون أجلّ العلوم، ومع ذلك يتواضعون للسؤال، فالمسلم متعلم في كل أحواله وزمانه، وقد روى عمر بن دينار عن قتادة أنه قال: "ما جمعت علم الحسن إلى علم أحد من العلماء

إلا وجدت له فضلًا، وأنه كان إذا أشكل عليه شيء كتب فيه إلى سعيد بن المسيب يسأله"[59]. فمع فضله وعلمه ما زال يتعلم فيسأل غيره عما يُشكل عليه.

- **الكتابة من ضمانات استمرارية التعلم**: فما سُطّر بالقلم محفوظ على اختلاف الأزمان، وقد روى المزي حادثة لتدل على ضمانة الكتابة لاستمرارية العلم، "فعن إسحاق بن راشد قال لي ابن شهاب: هل بقي أحد عنده علم؟ قلت: نعم، رجل من أهل الكوفة يُقال له الأعمش، قال: فقال له هات حدثني، قال: فقلت: لا أحفظ، ولكن إن شئت جئتك بكتاب عندي، قال: هاته، قال: فجئته بكتاب فقرأه فقال: ويحك ما كنت أرى بقي أحد يُحسن هذا "[60].

فالعلم الذي قدّمه الأعمش لابن شهاب علم مكتوب، ولو لم يحفظ بالصورة التي رآها عليه ما كان ليعرفه في زمانه.

وفي تقييد العلم بالكتابة ضمان البقاء والمحافظة على العلوم، ولا يخفى على أحد أن طرق الحفظ تختلف حسب المكان والزمان، فما يناسب عصر من العصور لا يناسب آخر، وعلى المعلم الأخذ بعين الاعتبار الطرق الحديثة التكنولوجية لحفظ العلوم.

رابعا: مبدأ الرفق بالمتعلم: من المبادئ المهمة التي تنبغي على المعلم العمل بها الرفق بالمتعلم والصبر عليه، لأن ذلك أساس نجاحه في التعليم فإنها من دلائل تفوق التلاميذ ونجاحهم وشعورهم نحوه بالاحترام والتقدير،

فالصبر قوةٌ خفيَّةٌ من قوى الإرادة تُمكِّن الإنسان من ضبط نفسه لتحمُّل المشاق والمتاعب والآلام.

ولعظمة خُلق الصَّبر فإنَّ التحلي به يورث الأجر العظيم من الله تعالى، فالله سبحانه وتعالى أعلن حبَّه للصابرين بقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146].

والمعلم ينبغي أن يكون هدفه الأسمى هو إخراج جيلاً واعيًا إسلاميًّا أصيلاً، قاعدته الأولى منهج لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولكي يكون داعيةً إلى إقامة شرع الله الحنيف في هذه الحياة يجب عليه أن يتحلَّى بالصبر، وهذه الصفة حينما تلازمه تعطيه حافزًا قويًا على تحمل الصعاب وصعود القمم.

والمربِّي الناجح يُدرك أنَّ طلابه ليسوا على شاكلة واحدة؛ فقد خلقهم الله عزَّ وجلَّ ذوي أمزجةٍ مختلفة، وذوي حاجاتٍ ومصالحَ ومشاكلَ وهمومٍ مختلفة كذلك، فيحتاجون إلى من يتَّسع قلبه لهم.

ومن مظاهر الرفق والصبر كما جاءت في تهذيب الكمال ما يلي:

أولاً: الحلم على الطلاب: أكد المزي ذلك بما أورده؛ عن عبادة بن الصامت قوله: "من الناس من أوتي علمًا ولم يؤت حلمًا، ومنهم من أوتي حلمًا ولم يؤت علمًا، ومنهم من أوتي حلمًا وعلمًا، وإن شداد من الذين أوتوا العلم والحلم"[61].

وهذه قيلت في سياق المدح لشداد فهو معلم حليم، ظهر ذلك في سيرة حياته العلمية، فالرفق والحلم مبدأ نهجه مع طلابه، يستلزم الصبر والحنو وكظم الغيظ وسعة الصدر والتعزيز.

ومن متطلِّبات الصبر أن يكون صبورًا على معاناة التعليم وتقريب المعلومات وتوضيح الأفكار للطلاب مرةً تلو مرة، وذلك يتطلَّب مراسًا وتكرارًا وتنويعًا للأساليب، وحمل النفس على تحمل المشقة، هذا لأنَّ الطلاب ليسوا سواء في القدرة والتعليم.

ثانياً: الإشادة بالتلاميذ وذكر محاسنهم: فمديح المعلمين للطلاب فيه إشاعة جو الألفة والود بين المعلمين والمتعلمين، وإشباع لحاجة التقدير وتنمية الثقة بالنفس لدى المتعلم، وقد روى المزي عن الشافعي قوله: "خرجت من بغداد وهل خلفت بها أفقه ولا أزهد ولا أروع ولا أعلم من أحمد بن حنبل"[62]. فأحمد بن حنبل تلميذ الشافعي، فمن حسن أخلاق المعلم ورفعته الإشادة بتلميذة وذكر محاسنه، ولا يخفى على أحد ما لهذا من آثار تربوية على المتعلم.

ثالثاً: ربط المعلم بالحياة الاجتماعية: من واجب العالم أن يستطيع الاتصال بالحياة الاجتماعية اتصالاً مباشرًا وهذا يدل على إيمانه بإنسانية التعليم واجتماعيته، وذلك بعقد أقوى الصلات وأمتن الروابط بينه وبين طلابه، بزيارتهم وقضاء حوائجهم وحل مشاكلهم والتعرف على أسرهم وأهليهم.

"ومن ذلك ما روي عن خلاد بن يزيد الأرفط: كان لإياس صديق قد وطئ أمة له، تخرج في حوائجه، فولدت غلاماً فشك فيه الرجل، فلم يدعيه ولم ينكره، وكان إياس يريد صديقه ذلك، فتصفح وجوه الغلمان، ثم أقبل على ذلك الغلام فقال: يابن فلان قم إلى أبيك فأعلمه أني بالباب. فقال معلم الكتاب لإياس: ومن أين علمت يا أبا واثلة أنه ابنه؟ فقال: شبهه فيه أبين من ذاك، فقام المعلم إلى الرجل فأخبر مخبر إياس والغلام، فخرج الرجل بنفسه فرحًا بما أخبره المعلم. فقال يا أبا واثلة: أحق ما قال المعلم لي؟ فقال: نعم شبهه فيك وشبهك فيه أبين من ذاك. فادعى الرجل الغلام ونسبه إلى نفسه[63]".

ومن هذه الحادثة نستنتج ما يلي:

أ- وجود العلاقات الاجتماعية بين المعلم والتلاميذ، فنرى أن المعلم يعرف قصة الطالب وعدم اعتراف والده به، ولا يخفى على أحد مقدار الألم النفسي والضغوط التي يتعرض لها الطالب في مثل هذه الأمور.

ب- الفوائد المحصّلة من هذه العلاقات على الطلاب والمعلم على حدٍ سواء، فقد رأينا كيف استقرت أمور الطالب الاجتماعية عند اعتراف والده به، وكل هذا كان بفضل دقة الملاحظة عند المعلم، وفي الوقت ذاته فإن المعلم يفيد من الروابط الاجتماعية بما يُحصله من أجر وثواب، وتقوية العلاقات بينه وبين المجتمع المحلي مما يزيد من مكانته الاجتماعية وقدره واحترامه.

وبيان هذا المبدأ في تهذيب الكمال واسع جداً، إذ الحوادث والأقوال كثيرة ولكن المحصلة من ذلك أنها جميعاً ترسم صورة رائعة لمبدأ الحنو بالمتعلم والرفق به وربطه بالحياة الاجتماعية، فالمعلم وقتها مؤمن تقي، وهذا المبدأ والمبادئ جميعها وليدة الإيمان والتقوى لذلك تجسدت جميعاً فيه.

المطلب الثاني: أساليب المعلم التربوية في كتاب تهذيب الكمال.

أساليب التدريس ووسائله تساعد المعلم في أداء مهامه، وتبرز دوره، فهي تتوجه بالدرجة الأولى منه وإليه، وقد روى المزي في كتابه مجموعة من هذه الأساليب، تكتفي الباحثة بإيراد شاهد لكل أسلوب تربوي، ومنها:

أولاً: طرح الأسئلة: يعدّ أسلوب السؤال من طرق التعليم الهامّة، فهي تشجع على التفكير والإبداع وتنمية الشخصية، كما تعد مثيرات للعقل والفكر(64).

وهذه الطريقة كانت متبعة عند المعلمين فقد روى المزي: "أن علياً سأل ابنه الحسن عن أشياء عن المروءة فقال: يا بني ما السداد، فقال: يا أبت، السداد دفع المنكر بالمعروف. قال: فما المروءة؟، قال: العفاف وإصلاح المرء حاله. قال: فما الدقة؟ قال: النظر في اليسير ومنع الحقير. قال: فما الحِلْم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس. قال: فما الجرأة؟ قال: موافقة الأقران. قال: فما اللوم؟ قال: احراز المرء نفسهوبذله عرسه من اللؤم. قال: فما السماحة؟ قال: البذل في اليسير والعسر. قال: فما الشح؟ قال: أن ترى مافي يديك شرفاً وما أنفقته ترفاً..... "(65).

ثالثاً: ضرب الأمثلة التجريبية: إن استخدام أسلوب الأمثال شائع عند العرب وكذلك في القرآن الكريم فهو: إيضاح الشيء بذكر صفته التي تكشف حقيقته عن طريق المجاز أو الحقيقة، وأبلغه تمثيل المعاني المعقولة بالصورة الحسية(66).والجميل في ضرب الأمثلة خاصة المحسوسة منها، تحصيل اليقين التام منها، ومن فوائد هذا الأسلوب التربوي:

- تقريب المعنى إلى الإفهام، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية ليستطيعوا فهمها.

- وكذلك تربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم.

وقد أورد المزي مثل تجريبي رائع في روايته، حيث أوصل المعلم المعلومة إلى السائل بطريقة واضحة، "فعن إياس بن معاوية قال: جاءه دهقان فسأله عن السكر أحرام هو أم حلال؟ قال: هو حرام، قال: كيف يكون حراماً؟ أخبرني عن التمر أحلال هو أم حرام؟ قال: حلال، قال: أخبرني عن الكشوت أحلال هو أم حرام؟ قال: حلال، قال: فأخبرني عن الماء أحلال هو أم حرام؟ قال: حلال. قال: فما خالفت بينهما وإنما هو من التمر والكشوت والماء. فقال إياس للدهقان: لو أخذت كفاً من تراب وضربتك به أكان يوجعك؟ فقال: لا، فقال: لو أخذت كفاً ماء فضربتك أكان يوجعك؟ قال: لا، قال: فإذا أخذت هذا الطين فعجنته بالتبن ظاهراً ثم جعلته كتلاً ثم تركته حتى يجف ثم ضربتك به أيوجعك؟ قال: نعم ويقتلني، قال: فكذلك هذا التمر ظاهراً والكشوت إذا اجتمع ثم عتق حرُم"[67].

المطلب الثالث: واجبات المعلم وحقوقه في كتاب تهذيب الكمال:

تُعدّ الصفات العلمية والخلقية للمعلم ركيزة أساسية في حديثنا عن واجبات المعلم، فكل صفة من الصفات التي ذكرناها سابقاً تتضمن واجباً من الواجبات المقررة عليه، وهذه الواجبات تختلف باختلاف الجهة الموجبة، وورد في كتاب تهذيب الكمال، إشارات وأقوال تتضمن هذه الواجبات، تذكر الباحثتان شيء موجز منها منعاً للإطالة. **ويمكن تلخيص هذه الواجبات كما أوردها المزي بما يلي:**

- الحرص على مصلحة الطلبة وإيثار ذلك على حوائجه ومصالحه "سئل عن أبي اليمان وكان يسمى كاتب إسماعيل بن عياش وكان إذا جاءه أصحاب الحديث قال لهم ألقطوا لي الزعفران، وثمة ينبت الزعفران، وكان يلقطون الزعفران ثم يحدثهم"[68].

- أن يكون طيباً رفيقاً بطلابه، يحنو عليهم وتظهر عليه علامات الشفقة والاحترام. "قال عبد الله الزهدي عن عمه يعقوب بن إبراهيم عن أبيه: كان صالح بن كيسان مؤدب ابن شهاب، فربما ذكر صالح الشيء فيرد عليه ابن شهاب فيقول: حدثنا فلان بخلاف ما قال فيقول له صالح: تكلمني وأنا أقمت أود لسانك. وقال عبد العزيز الأوسي عن إبراهيم بن سعد جئت صالح بن كيسان في منزله وهو يكسر لهرة ثم يطعمها ثم يفت لحمامات له يطعمه"[69].

- ومن واجباته أيضاً الصبر وتحمل المشاق سواء بالصبر على تلاميذه كما مر بالموقف الأول، وبالصبر على مشاق الحياة وذل التعلم، ويبيّن ذلك قول الأصمعي "من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبداً"[70].

والحديث عن الواجبات يقودنا إلى الحديث عن الحقوق، فالعلاقة تبادلية بينهما فلا حق دون وجود واجب ولا واجب دون وجود حق.

ويُعدّ مبحث الحقوق من المباحث الهامة التي تنبغي علينا الاهتمام بها لما له من أثر كبير في النفس الإنسانية، فهي تقدم للمعلم حوافز تعطيه بعضاً من الراحة والطمأنينة والاستقرار، وترى الباحثتان؛ أن الحقوق التي أوردها المزي في كتابه قسمان:

- حقوق معنوية للمعلم.
- حقوق مادية للمعلم.

وتوضيحهابإيراد الشواهد عليها على النحو الآتي:

أولا: **الحقوق المعنوية**: ويقصد بها: مجموعة العوامل النفسية التي تعمل على تهيئة المعلم للقيام بمهامه بالشكل المطلوب، وذلك ليحقق ما يسمى في وقتنا الحاضر "المعلم الفعّال"، فعلى الجهات المعنية -وهي في تلك الفترة مختصة بالطلبة فقط- تهيئة الجو النفسي المناسب للمعلم. وذلك بالقيام بعدة أمور منها:

1. **توقير المعلم وتقديره**، فمن بذل الجهود والمشاق، وكان سبباً من أسباب الرقي في المجتمع، ومن خلّص الناس من الجهل استحق أفضل الأماكن وأرفعها، ومن ذلك:

"حدثنا جرير عن الأعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة بن الحر قال: كنت جالساً في حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء شيخ حسن الهيئة وهو عبد الله بن سلام فجعل يحدثهم حديثاً حسناً، فقال القوم: من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى عبد الله"[71]. وهذا يدل على عظم مكانته في نفوسهم وتقديرهم لعلمه وخلقه.

2. **حفظ هيبة المعلم**، فالخوف من المعلم يعظم الخوف من الوالي أو الحاكم، وما ذاك إلا لرفعة قدره وأهمية دوره، ويؤكد على ذلك "قول عبد الحميد سمعت أميراً كان بالساحل وقد دفنّا الأوزاعي يقول: "رحمك الله يا أبا عمرو فقد كنت أخافك أكثر ممن ولاّني"[72].

3. من حقوق المعلم **كذلك التغاضي عن هفوات المعلمين** وزلاتهم، ووصف من يترصد للمعلمين بأنه جامع للشر في نفسه، ولذلك يقول سليمان البهي: "لو أخذت برخصة كل عالم أو زلة كل عالم اجتمع فيك الشرّ كله"[73]. فالمطلوب من التلميذ أخذ كل ما هو مفيد ونافع من المعلم حتى إن بعضهم قالوا: "لا تنظروا ما يصنع العالم، فقد يصنع العالم شيئاً يكرهه لكن سَلْهُ حتى يخبرك بالحق"[74].

ثانيا: **الحقوق المادية**: ونقصد بها: مجموعة عوامل تعمل على تهيئة المعلم من أجل القيام بمهامه وواجباته بالشكل المطلوب، وذلك بتوفير عناصر مادية ضرورية لذلك، ومن هذه العوامل المادية:

1 – **تهيئة البيئة الصفية المناسبة لإعطاء الدروس**، وهذا الأمر لا يتحقق إلا بوجود العوامل التالية:

- **للمعلم حق اختيار الطلاب**، فقد يكون بالطالب صفة ينفر مها المعلم فلا يستطيع التحديث ومن ذلك:

- "قال أحمد بن عبد الله العجلي في ابن إسحاق أنه كان ثقة صاحب سنة لا يحدث أحد حتى يسأل عنه، فإن كان صاحب سنة حدثه وإلا لم يحدثه"[75].

- **للمعلم حق اختيار عدد الطلبة**، وهذا ما تؤكده النظريات التربوية الحديثة، إذ أن العدد الكبير في الموقف الصفي يضيّع على التلاميذ الكثير من الفوائد، فبدأت المؤسسات التربوية تنحى نحو تقليل عدد الطلاب في الشعب، وهذا ما كان موجوداً في كتب التراث التربوي، ومن ذلك ما أورده المزي: "عن أبو العالية أنه كان إذا اجتمع عليه أكثر من أربعة قام وتركهم"[76].

الخاتمة

من خلال البحث في صورة المعلم في كتب التراجم، كتاب تهذيب الكمال نموذجاً توصلت الباحثتان إلى مجموعة من **النتائج**، أهمها:

1. إن للعلم مكانة عظيمة عند المربين الأوائل، لذا كانت منزلة المعلم من أفضل منازل البشر، فقد تولى أعلى المراتب الدينية والدنيوية.

2. تبين من خلال البحث في صفات المعلم أن هناك أخلاقيات واجبة على المعلم ترتب على معلمنا الكثير من الواجبات والمهام، فمن خلال تطبيقها يتوصل المعلم إلى الإبداع والتميز.

3. تعددت مبادئ المعلم التربوية وأساليبه التعليمية التي تعود على العملية التربوية بالنفع والفائدة.

4. خلص البحث أخيراً إلى وجود مجموعة من الحقوق والواجبات للمعلم وبينهما علاقة تبادلية، فيجب إعطاء المعلم حقوقه المادية والمعنوية حتى يستطيع أداء واجباته نحو طلابه.

كانت هذه أهم نتائج البحث أما عن **التوصيات** فهي:

1. ضرورة تكوين هذه الصورة للمعلم كأنموذج، وحث المعلمين في عصرنا على تمثلها لنيل آثارها التربوية ولتعود الصورة الصحيحة لهذه المهنة.

2. أن تقوم المؤسسات التربوية بتعليم النشء مهام المعلم الحقيقي وأخلاقياته، وتوجيه الباحثين في مجال التربية الإسلامية إلى تناول كتب التراث التربوي الإسلامي لدراستها وتحليلها واستخراج الكنوز الكامنة فيها.

قائمة المراجع

1. . ابن جماعة ،بدر الدين محمد بن إبراهيم، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1433هـ، 2012م، اعتنى به: محمد العجمي.

2. . ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

3. . أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داوود،دار الرسالة العالمية، دمشق، 1430هـ، 2009م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون.

4. . الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين،أخلاق أهل القرآن، ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1424هـ، 2003م، تحقيق: محمد عمرو عبد اللطيف.

5. . الأندلسي، أبو عمر يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، 1414هـ، 1994م، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري.

6. . الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي،دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ، 2002م، تحقيق: خليل مأمون شيحا.

7. . الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت،الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1416هـ، 1996م، تحقيق: محمد عجاج الخطيب.

8. . الدرويش، محمد بن عبدالله،المدرس ومهارات التوجيه، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1416هـ.

9. . الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد تذكرة الحفاظ، ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ، 1998م

10. . السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي،طبقات الشافعية الكبرى، ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ، 1964م، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو.

11. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التأريخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1407ه، 1986م، تحقيق: فرانز روزنثال، ترجمة: صالح العلي.

12. . الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك،أعيان العصر وأعوان النصر، ، دار الفكر، دمشق، 1418هـ، 1998م، الطبعة الأولى، تحقيق: علي أبو زيد، نبيل أبو عمشة، محمد موعد، محمود سالم محمد.

13. . الغزالي، أبو حامد محمد،إحياء علوم الدين ، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1412هـ.

14. . القنوجي، صديق بن حسن أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، ، دار الكتب العلمية، بيروت ،1978 ، تحقيق : عبد الجبار زكار .

15. . المزي، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن،تهذيب الكمال ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1400 – 1980 ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: د. بشار عواد معروف **.(خمسة وثلاثون جزءًا)**

16. تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهر، ، الناشر وزارة الثقافة بمصر، نسخة مصورة عن دار الكتب العربية، 1383هـ، 1963م.

17. الجلاد: ماجد زكي، السؤال وأغراضه التربوية في القرآن الكريم، مجلة أبحاث اليرموك، المملكة الأردنية الهاشمية.

18. خوالده: ناصر أحمد، طرائق تدريس التربية الإسلامية، عمان: دار حنين، ط1، 2001م.

19. العسقلاني: أحمد بن حجر أبو الفضل، تهذيب التهذيب، دار الفكر ، بيروت ، تاطبعة الأولى، 1984 .

20. القرضاوي: يوسف، الرسول والعلم، القاهرة: مكتبة وهبة، ط7، 1420هـ-1999م.

21. النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية، دار الفكر، دمشق، ، الطبعة الثانية، 1999.

الهوامش:

(1) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد ، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعةالأولى، 1419هـ، 1998م .
(1/ 303) ترجمة رقم: (282).

(2) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1407، تحقيق: فرانز روز منثال، ترجمة: صالح العلي(ص/ 18).

(3) . القنوجي، صديق بن حسن،أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ،1978 ، تحقيق : عبد الجبار زكار .، 2/ 362 .

(4) انظر: مقدمة تحقيق كتاب تهذيب الكمال د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1403هـ، 1983م.

(5) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك،أعيان العصر وأعوان النصر، دار الفكر، دمشق، 1418هـ، 1998م، الطبعة الأولى، تحقيق: علي أبو زيد، نبيل أبو عمشة، محمد موعد، محمود سالم محمد.5/ 651-652.

(6) السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي،طبقات الشافعية الكبرى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ، 1964م، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، 10/ 401.

(7) تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهر، الناشر وزارة الثقافة بمصر، نسخة مصورة عن دار الكتب العربية، 1383هـ، 1963م. 10/ 77.

(8) العسقلاني: أحمد بن حجر أبو الفضل، تهذيب التهذيب، دار الفكر،بيروت، تاطبعة الأولى، 1984 ، ج1، ص1.

(9) الذهبي: تذكرة الحفاظ، (4/ 1498-1500) ترجمة رقم: (1176) .

(10) المزي، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت: الطبعة الأولى،تحقيق بشار معروف، 1400هـ - 1980، ج9، ص156.

(11) المزي، تهذيب الكمال، ج16، ص293.

(12)خوالده: ناصر أحمد، طرائق تدريس التربية الإسلامية، (عمان: دار حنين، ط1، 2001م)، ص254.

(13) سبق تخريجه ص/ 6.

(14) رواه البخاري في الصحيح، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، (ص46) برقم (100)، ومسلم في الصحيح، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، (ص1314)، برقم (2673).

(15) رواه أبو داود في السنن، أبواب العلم، باب الحث على طلب العلم(5/ 487)، برقم (3643)، والترمذي في السنن، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (ص1043)، برقم (2682)، وابن ماجه في السنن، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم(1/ 81)، برقم (223).

(16) رواه الترمذي في السنن، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (ص1045)، برقم (2685)، وقال: حديث غريب.

(17) المزي، تهذيب الكمال، ج1، ص455.

(18) المزي، تهذيب الكمال ، ج16، ص22.

(19) المزي، تهذيب الكمال ، ج6، ص125.

(20)الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1416هـ، 1996م، تحقيق: محمد عجاج الخطيب.، 1/ 586.

(21)المزي، تهذيب الكمال، ج3، ص74.

(22)المزي، المرجع السابق ، ج3، ص436.

(23) المزي، المرجع السابق، ج17، ص439.

(24) القرضاوي: يوسف، الرسول والعلم،مكتبة وهبة، القاهرة،الطبعة السابعة، 1420هـ-1999م، ص66-67.

(25) المزي، تهذيب الكمال، ج3، ص37.

(26) المزي، المرجع السابق ، ج3، ص170.

(27) المزي، تهذيب الكمال، ج3، ص463.

(28) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف ب الأندلسي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، 1414هـ، 1994م، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري.، ج1 ص135.، ج2 ص838.

(29) ابن عبد البر، المرجع السابق، ج2 ص839.

(30) ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة،تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1433هـ، 2012م، اعتنى به: محمد العجمي. ص68.

(31) المزي، تهذيب الكمال، ج14، ص34.

(32) المزي، المرجع السابق، ج1، ص 366.

(33) المزي، المرجع السابق، ج7، ص20.

(34) المزي، المرجع السابق، ج6، ص121.

(35) المزي، المرجع السابق، ج12، ص449.

(36) المزي، المرجع السابق، ج11، ص254.

(37) المزي، تهذيب الكمال، ج31، ص157.

(38) المزي، تهذيب الكمال ، ج1، ص373.

(39) رواه مسلم في الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار(ص1404)، برقم (2865).

(40) الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين، أخلاق أهل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1424هـ، 2003م، تحقيق: محمد عمرو عبد اللطيف.، ص120.

(41) المزي، تهذيب الكمال ، ج20، ص77.

(42) المزي، المرجع السابق، ج4، ص544.

(43) الخوالدة: ناصر أحمد، طرائق تدريس التربية الإسلامية، ص63.

(44) رواه البخاري في الصحيح، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفقهوا، (ص52)، برقم (127).

(45) رواه مسلم في مقدمة الصحيح، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، (ص14)، برقم (14).

(46) إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد محمد، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1412هـ. ، ج1 ص96.

(47) المزي، تهذيب الكمال، ج3، ص435.

(48) المزي، تهذيب الكمال ، ج6، ص242.

(49) المزي، المرجع السابق ، ج7، ص387.

(50) الخوالدة، طرائق تدريس التربية الإسلامية، ص65.

(51) المزي، تهذيب الكمال ، ج10، ص373.

(52) ا الدرويش، محمد بن عبدالله، المدرس ومهارات التوجيه، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1416هـ.، ص67 بتصرف.

(53) الخوالدة، طرائق تدريس التربية الإسلامية، ص67.

(54) المزي، تهذيب الكمال، ج18، ص346.

(55) المزي، تهذيب الكمال، ج12، ص95.

(56) االمزي، المرجع السابق، ج4، ص451.

(57) المزي، المرجع السابق، ج3، ص91.

(58) المزي، المرجع السابق، ج6، ص107.

(59) المزي، تهذيب الكمال ج11/ ص1378.

(60) المزي، المرجع السابق، ، ج2، ص422.

(61) المزي، تهذيب الكمال، ، ج12، ص391.

(62) المزي، تهذيب الكمال، ج1، ص451.

(63) المزي، تهذيب الكمال، ج 3 ، ص 428 .

(64) الجلاد: ماجد، السؤال وأغراضه التربوية في القرآن الكريم، مجلة أبحاث اليرموك، ص159.

(65) المزي، تهذيب الكمال، ج6، ص 238.

(66) النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية، دار الفكر، دمشق، ، الطبعة الثانية، 1999،ص246.

(67) المزي، تهذيب الكمال، ج3، ص414.

(68) المزي، المرجع السابق ، ج7، ص154.

(69) المزي،المرجع السابق ، ج13، ص79.

(70) المزي، المرجع السابق، ج18، ص348.

(71) المزي، تهذيب الكمال ، ج12، ص64.

(72) المزي، المرجع السابق ، ج17، ص313.

(73) المزي ، المرجع السابق ، ج2، ص11.

(74) المزي، المرجع السابق، ج3، ص433.

(75) المزي، المرجع السابق ، ج9، ص277.

(76) المزي، المرجع السابق، ج9، ص217.